

مارس / آذار ٢٠١٤

وجهات نظر اللاجئين حول العودة إلى الصومال

كارولين أبو سعدة وسيرجيو بيانكي

أجرت منظمة أطباء بلا حدود استبياناً بين اللاجئين الصوماليين في مخيم داغاهالي في دايباب لاستطلاع آرائهم حول ظروفهم المعيشية وحول العودة إلى الصومال في المستقبل المنظور. وتشير الإجابات إلى أن تردّي الظروف المعيشية في المخيم لن تقود، على النقيض من الاعتقاد السائد، إلى زيادة رغبة اللاجئين بالعودة.

رغم كرم الضيافة الذي أبدته كينيا في استضافة اللاجئين الصوماليين، أصبح ظهور الصوماليين في كينيا مسألة إشكالية في نظر السلطات الكينية. ففي أعقاب الحملة العسكرية الكينية عام ٢٠١١ ضد جماعة الشباب في الصومال، بدأت السلطات الكينية باقتراح إعادة اللاجئين الصوماليين إلى بلادهم. وتحدد الاتفاقية ثلاثية الأطراف التي وقعتها كينيا مع الصومال ومفوضية الأمم المتحدة السامية للاجئين في ١٠ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٣ الإجراءات العملية والقانونية للعودة الطوعية لمئات الآلاف من اللاجئين إلى الصومال. وكان لمنظمة أطباء بلا حدود حضوراً في المخيمات الكينية منذ تأسيسها عام ١٩٩١ إلى عام ٢٠٠٣. ثم عادت المنظمة للعمل في مخيم داغاهالي عام ٢٠٠٩. وفي عام ٢٠١٣، أجرت المنظمة مسحاً لمرافقها الصحية لاستطلاع الظروف المعيشية والمسائل الصحية التي يواجهها اللاجئون وللنظر في آرائهم بشأن العودة المحتملة للصومال^١.

الظروف المعيشية والحالة الصحية

مع أن القصد من مخيم داغاهالي (دايباب) كان في بداية الأمر استيعاب ٣٠٠٠٠ شخص، فقد وصلت أعداد قاطنيه الآن إلى



أطفال لا حدود كينيا يمشون

١٠٠٧٦٦ شخص، وبطبيعة الحال، يعد هذا الاكتظاظ وما له من أثر على المأوى والمياه والإصحاح والظروف المعيشية مصدراً للمشكلات.

وأظهر المسح أنه كلما تأخر وصول اللاجئين إلى مخيم داغاهالي، زادت احتمالية عدم قدرتهم السكنية على توفير الحماية الكافية لهم من مياه الأمطار. ومن المحتمل أن تعود أصول ذلك الفرق إلى تنوع عمليات الاستيطان التي ينتهجها لاجئو داغاهالي. ففي أغلب الأحيان، يستوطن اللاجئون المتأخرون الوحدات السكنية المبنية من مواد الخردة بدلاً من النزول في ملاجئ مبنية بمواد خام تقدمها مفوضية الأمم المتحدة السامية للاجئين التي تمنح قدرًا أكبر من الحماية من مياه الأمطار.

ومن بين الأشخاص الذين يشعرون بالأمن، عبّر ٢٠٪ عن رغبتهم في العودة، في حين لم تتجاوز النسبة ١٤٪ من اللاجئين الذين عبروا عن عدم شعورهم بالأمن. وكذلك، أبدى ٢١٪ ممن يتمتعون بالقدرة على الوصول إلى دورات المياه و٢٠٪ من القادرين على الوصول إلى الماء رغبتهم في العودة مقارنة بنسبة ٨٪ من اللاجئين الذين عبروا عن رغبتهم في العودة مع عدم قدرتهم على الوصول إلى دورات المياه و٣١٪ من غير القادرين على الوصول إلى المياه.^٢

وإذا نظرنا إلى الوضع من منظور اللاجئين، لوجدنا منطقاً في الترابط القائم بين تحسن الظروف المعيشية والرغبة في العودة. فمن غير المحتمل أن يكون لدى قاطني داغاهالي من المستضعفين بسبب فقدان الوصول إلى الخدمات الأساسية كالطعام والماء والرعاية الصحية أن يتوافروا على الموارد المادية والداخلية اللازمة للعودة إلى الصومال. أما "الأوفر حظاً" من الحاصلين على المساعدات فقد يفكرون على أقل تقدير في السفر والعودة إلى بلادهم.

وهذا الاعتبار بطبيعة الحال واحد من عدة اعتبارات سوف ينظر فيها المقيمون في المخيم ومع ذلك يضيء جميع اللاجئين إلى خلاصة واحدة هي أنه كلما قل حظ اللاجئين قلت احتمالية عودتهم إلى بلادهم عودة طوعية.

كارولين أبو سعدة caroline.abu-sada@geneva.msf.org
رئيسة وحدة البحوث في منظمة أطباء بلا حدود، وسيرجيو بياني sergio.bianchi@geneva.msf.org باحث في منظمة أطباء بلا حدود، سويسرا www.msf-ureph.ch/en

التقييم الذي تقوم عليه هذه المقالة متاح عند الطلب من المؤلفين.

١. في أول أسبوعين من شهر أغسطس/آب 2013، خضع للمقابلة 1009 من المرضى البالغين ومقدمي الرعاية.
٢. استخدم اختبار تشي-سكوريف بفاصل صدق 95% للتحقق من وجود علاقات ذات دلالة إحصائية.

وإضافة إلى ذلك، افتقرت نسبة أكبر من الواصلين بعد عام ٢٠١١ إلى القدرة على الوصول إلى المياه ودورات المياه، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن معظم الواصلين بعد عام ٢٠١١ استوطنوا أطراف الأراضي الممنوحة لمفوضية الأمم المتحدة السامية للاجئين، مع العلم أن تلك الأراضي تفتقر (وما زالت تفتقر) إلى البنى التحتية الرئيسية، مثل: دورات المياه والآبار. وبالمثل، لا يوجد تكافؤ في الوصول إلى المياه في المخيم ما ينعكس على تهميش الواصلين المتأخرين، ويعني ذلك أن هناك احتمالاً في أن لا تعاني المجموعات نفسها من سوء ظروف الإيواء فحسب بل من ضعف القدرة على الوصول إلى المياه والإصحاح على حد سواء.

وكذلك، أظهرت الدراسة أن نسبة المستجيبين الذين تحدثوا عن عدم توافرهم على الطعام الكافي تتدنّى بين اللاجئين الذين وصلوا قبل عام ٢٠١١ مقارنة بمن وصل بين عامي ٢٠٠٧ و٢٠١٠. وأخيراً، يبدو أن الحالة الصحية المعلن عنها ذاتياً ترتبط ارتباطاً ذا دلالة مع وقت الوصول إلى مخيم داغاهالي لأن نسبة الخاضعين للمقابلة ممن أفادوا أن وضعهم الصحي كان بين "في المعدل" و"سيء" كانت أكبر من نسبة الواصلين عام ٢٠١١ مقارنة بنسبتهم في الواصلين ما قبل عام ٢٠١٠. ويتماشى ذلك التصور مع البيانات الطبية المجمعة التي أبلغ عنها كل من فريق منظمة أطباء بلا حدود في الميدان والمستجيبون للدراسة. لكن السؤال: كيف يؤثر هذا الواقع على اتجاه إرادة اللاجئين للعودة؟

النية في العودة

على العموم، هناك ارتباط بين سوء الظروف المعيشية ونية العودة فيما يبدو أن المعاناة من سوء الظروف المعيشية تسببت، عكس ما يمكن تصوره، في إضعاف (وليس في تعزيز)